حوار حر مع العلامة الشيخ عبد اللّه العلايلي(**)

حـــول

اللغة والشعر والمرأة

إعداد لينا خليل(*)

إطلالة على شخصية العلاّمة الكبير

مَن منّا لم يسمع بالشيخ عبد اللّه العلايلي؟ الرجل العلاّمة في الفقه واللغة والدين، تشهد بذلك كثرة مؤلفاته، كما مسار حياته الطويل المليء بالنضالات المتتالية، حتى الرمق الأخير في مقاومة مريرة للمرض والموت. فقد كان الشيخ يعاني من ضيق في التنفُّس، وكان والدي، بحكم الصداقة العلمية التي تربط بينهما، يزوره ويعوده من وقت إلى آخر، وقد رافقته مرات عدة لم أتوانَ أثناءها عن الانبهار بهذا الشيخ الطيب المتواضع الذي كان يفترش الأرض مجلساً له، تسنده إلى ظهره مئات الكتب القديمة قدم تراثنا وحضارتنا العربيين. وقد بلغ به تواضعه أن أهداني أحد كتبه **تاريخ الحسين**[1] رامزة إعجاب(!).

والحال، فمنذ ما يقرب من عامين، جرت هذه المقابلة وكانت في جوِّها أقرب إلى الحوار العائلي منها إلى المقابلة الصحافية الجافة، كما يرى القارىء.

ومن البديهي أن يدور الحديث في بادئه حول اللغة وبعض مشكلاتها، ولكن المُستحدث هنا هو التعرّف إلى وجه جديد من وجوه المرحوم الشيخ عبد اللّه العلايلي الغنيّ بملامحه العابقة بعطر الماضي حيث العشق والحب من خلال الشعر. وبهذا سنجد أن المرحوم الشيخ لم يكن فقيهاً في اللغة وعلومها فحسب، وإنما هو شاعر قد

(*) كاتبة لبنانية.

(**) هذا الحوار يُنشر للمرّة الأولى، بعد غياب، وهو مسجّل على شريط، يعود تاريخه إلى العام 1995.

(1) الشيخ عبد اللّه العلايلي: **تاريخ الحسين**، الطبعة الثانية، دار الجديد، بيروت، 1994 (صدرت الطبعة الأولى عن دار العرفان، بيروت، عام 1941).

ترجمت له قصائد كما سنرى.

1 . في اللغة: التوحيد اللغوي

● في عصرٍ تكثر فيه اللغات حتى لم يعد البشر يستطيعون معها التفاهم على لغةٍ معيّنة، يطرح السؤال نفسه: هل من أمل للبشر في إيجاد لغة مشتركة لهم يتفاهمون بها وعليها؟ في هذه المسألة يرى الشيخ عبد الله العلايلي إلى أن:

□ اللغة[2] العلمية يوحَّد فيها النشر بحيث إني لا أحتاج، عندما يصدر الأثر العلمي في أيٍّ كان من نواحي البيئة، إلى لغةٍ تنقله إليَّ. رأساً أستطيع أن آخذه إلى لغته التي كُتب بها؛ بهذا نكون ساعتها قد وحّدنا العالم؛ فلا منظمة أمم ولا ما يتفرّع عنها مثل اليونيسف أو الاونيسكو أو غيرها؛ كل هذه ثانويات، أما **الأساس**، فهو **التوحيد اللغوي**؛ وقد عمل على ذلك طبيبان: أحدهما نمساوي وآخر بولوني وهو ما يسمًّى **اللغة العالمية Radicale aspenrento**، وهي لغة لا تكون على حساب اللغات واللهجات المحلية، وتتمُّ من خلال التوحيد العالمي المطلوب.

رحمة الاختلاف

● لكن، ألا تعتقد هنا أن للأديان دوراً في هذه العملية؟

□ على العكس. من عظمة الفكر الديني، أو من عظمة الوجهة التي أشرت إليها في مقالتي المنشورة في جريدة **النهار: هل الإسلام دين؟**[3] أن اختلاف أمّتي رحمة، آراء الفقهاء عندنا رحمة سمّاها النبي؛ لماذا؟ لأننا نرى اختلافنا من خلال اختلاف الفقهاء عندنا. فهذا الموضوع مطروح كثيراً، وقد أجاب عنه **أبو حنيفة** منذ الف سنة إجابة بمنتهى الجمال، جعل فيها أنك تستطيع أن تتصل بربِّك بأية لغةٍ أنت تعيها. وتعرف أن ربّك هو كأنه يُصغي إليك. لذا، قد تكون أكثر طمأنينة وانتعاشاً بسماعه إياك. لذلك أنا قلت: صلِّ بالفارسي، صلِّ بالهندي، صلِّ بالإنكليزي... ليس بالضرورة أن تصلّيّ بالعربية؛ وهذه هي روعة الفقيه في الإسلام وهذا هو معنى «اختلاف أمتي رحمة».

من جهةٍ أخرى أكثر ٱلسُنِيَّةً، توجّهنا بالحديث عن اللغة بالنسبة إلى صعوبتها على هذا الجيل الجديد من حيث التراكيب اللغوية (التركيب الإضافي مثل باب الدار، أو التركيب المزجي مثل بعلبك)، وكان رأي الشيخ أنها سهلة متى تعوّد هذا الجيل عليها قائلاً: «لا، سهلة. كل شيء يسهُل بالتمرين».

(2) انظر حواراً مع الشاعر سعيد عقل اجرته الكاتبة في مجلة الفكر العربي، رقم العدد 79، معهد الإنماء العربي، بيروت، شتاء 1995، فيه مداخلة الشيخ عبد الله العلايلي وتعليقه على ما جاء به سعيد عقل في بعض قضايا اللغة؛ وقد ضُمِّنت المداخلة في الحوار المذكور.

(3) انظر: جريدة النهار، بتاريخ 1994.

في هذا الإطار، اقترح مرّة الشيخ صبحي الصالح، كلمة «دَرْعَمِيّ» لطلاب دار المعلمين، ولكن هذه الكلمة لم تَرُجْ، وهي على وزن حَضْرَمُوت «حَضْرَمِيّ»...

هو بحسب ما يخترع؛ يجب أن يكون على قدر من الذوق بحيث تكون الأشكال أكثر لسنيةً (أو انزلاقاً مع اللسان) مثلاً «عَبْشَمِيّ» نسبةً إلى «عبد شمس»، عَبْدِيّ، كذا إلخ... إلى أن يرى الشاعر العربي الأزلق في **عبشمي** حين قال:

«وتضحك مني شيخةٌ عبشميّةٌ كأن لم تَرَيْ قبلي أسيرَ اليمامِ»

وهلمّ جراً... هذه كلها ترجع للزلاقة، أيُّها أطرى. لقد بلغت الزلاقة في العربية إلى أن تصل إلى درجة أنه كلما اجتمعت **(واو وياء)** وسبق أحدهما بالسكون، تقلب الواو ياءً وتُدْغَمُ الياء بالياء وتطلع منها كلمة؛ مثلاً: مطا/يمطو، ماذا تقولين على وزن «فعيلة»؟

● مطيَّة؟

□ كلا؛ مطيّة ليست «فعيلة»، (مَطِيْوَة/فعيلة)، اجتمعت واو وياء وسبق أحدهما بالسكون وقُلبت الواو ياءً وأُدْغِمَتْ الياء بالياء فصارت «مطيَّة»؛ ولذلك يقول **إبن خالويه** في كتابه **ليس: في كلام العرب**، وهو من أجلّ الكتب التي أُلِّفت، غير المُظِنِّين مثل المرحوم **انيس فريحة**، إذ كان الظن أنَّه «ليس في كلام العرب» كلام على كلمة (ليس)، وقال أيضاً إن القدامى يضيِّعون وقتاً طويلاً عريضاً ويؤلِّفون كتاباً ضخماً في «ليس في كلام العرب» يعني الكلام عن ليس أخت كان؛ لا، هو يعمل ضوابط في ليس مثل هذا الشيء في كلام العرب إلاّ كذا وكذا. فيقول: «كلما اجتمعت ((ليس في كلام العرب)) واو وياء تسبق إحداهما بالسكون إلاّ قلبت الواو ياءً وأضرمت في الياء **ليس**: (كَوْيَ وعَوْيَ)، رغمَ أنِ اجتمعت وسبقت إحداهما بالسكون لا تلفظ إلاّ كَوْيَ وعَوْيَ ولا يقال (كيَّ وعيَّ)، وهذا ما ليس في كلام العرب. راح وخبَّص هذا التخبيص وأخذتُ عليه ذلك في مقال طويل في مجلة **الآداب**. فلماذا عمل العربيّ هكذا؟ كلُّه للزلاقة.

الاستعمال يُحيي ويُميت

● تشاهد حضرتك التلفزيون (كان مُداراً أثناء الحوار)، كيف ترى إلى لغة المذيعين العربية؟ هل هي مقبولة؟

□ أنا لي تعبير من زمان حول هذا الموضوع، وهو أن «**الإستعمال هو المحيي المميت**»، لذلك نرى أن ما من شيء يُتْقَن إصلاحه بالتمرين عليه؛ كلا، ما كانت العوامل؟ عوامل نغمية، عوامل تطريبية جعلت الكلمة تكون عكس ما نريد ولكنها فرضت وجودها، من الخير إذن ألاّ نعالجها معالجة التصحيح، فلنتركها كذلك؛ أنا من أنصار أنْ تترك وأنْ تدخل في المعاجم الحديثة مع التنبيه، لمَنْ يريد أن يتأنّق هو، لا مَنْ يريد أن يغيِّر؛ هو يتأنَّق لذاته، هذه أصبحت عملية شخصية، لا أكثر من ذلك.

أحمد أبو سعد ليس بعيداً كثيراً عن هذه المحاولة، ففي معجمه **فصيح العامّة**[4] الصادر عن دار العلم للملايين يقول إن كلام الناس حتى المذيعين هو كلام عربي ولكن بطريقة معيّنة طبعاً...

أساساً حتى في العاميّة هناك اختلاف، مثلاً في منطقة معيّنة يقولون كذا «لئيم»، وفي منطقة أخرى يقولون كذا «اليم»؛ والكلمتان بالمعنى نفسه أي اللؤم وليس بمعنى الألم؛ في كلٍّ من المنطقتين هناك سبق في موضع الهمزة مع اتحاد المعنى.

لا مانع من الصرف

● ألا ترى أن «**الممنوع من الصرف**» مثلاً بات مشكلةً في تعليم هذا الجيل؟

□ إمّا أن يتّفقوا اليوم من جديد على إلغاء ما يسمُّونه اليوم «المنع من الصرف» أو التخفيف منه ما أمكن وحصره في وجه أو وجهين يُصْقَل التعبير بهما دون منعٍ من الصرف.

● على كلٍّ، ما هي قصة «الممنوع من الصرف»؟ كيف أتى؟

□ لا يعتمد على اللسان إلاّ كذلك، والنَّحوي باعتبار أنَّ طريقته أن يأخذ ما هو مسموع، وضع تحت لائحة «لا يُصْرَف ـ لا يُنَوَّن»، وجعلت قاعدة؛ ولذلك كان ضمير النَّحْوي متأثّراً إلى درجة قال فيها لا يمنع من الصرف إلاّ ما اجتمعت فيه علّتان من علل تسع: علّتان، وليس التأنيث وحسب.

● ولكن في لغات أخرى غير موجودة هذه المسألة؟

□ بقطع النظر. نحن نتكلّم دائماً وأبداً عن سليقيّة هذه الجراحة، عن خصوصية هذه اللغة.

● أهذه خصيصة أم نقيصة في النهاية؟

□ لا. المحاكمة شيء، ووصف الواقع شيء آخر؛ عندما يقال لك صِفْ هذا الجذع، تمعن هنا في وصفه كما هو، أمّا أن تقول لو كان كذا، فالأمر هو إبداء رأي. ولذلك كان يقول العماد **الأصبهاني**: «ما كتبتُ يوماً كتاباً إلاّ قلتُ في غدي لو غيّرت كذا لكان أحسن، ولو قدّمتُ كذا لكان يُسْتحسن، وهذا من أعظم العبر على استيلاء النقص على كلّ بني البشر».

● هل صار من عمل في **المجامع العربية** حول قصة الممنوع من الصرف؟

□ كلا. بحثوا في القواعد النحوية؛ واجتمعوا في المجامع ليبحثوا كيف يجدون قابلاً في المصطلحات الذهنية والفكرية.

(4) أحمد أبو سعد: **فصيح العامّة**، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين، بيروت، 1990.

العلايلي والمجامع العربية

● حضرتك ساهمت في هذا المجمع، مجمع التعريب في الرباط؟

□ نعم، لكثرة ما اكتب واقترح في كتبي مصطلحات أراها هي الأخلق في الأداء؛ مثلاً يوم كنت في القاهرة لطبع كتاب **مقدّمة لدرس لغة العرب**[5]، كان لي صديق إسمه **محمد الأسمر**، وقد كان شاعراً كبيراً في ذلك الحين ومثقّفاً ثقافةً واسعةً كثيراً، لا سيّما في اللغة الإنكليزية؛ وكنتُ محلّ ثقةٍ كبيرة لديه، فقال لي: أنا واقع على أبيات لشاعر إنكليزي إسمه **پوب** Pop (هذا الشاعر فوق ديكنز ودون سيكبسوي) يصف فيها فتاة بين اثنين، فتجمّل فسمّاها «سَنْدْوِيش» Sandwich، وكان يريد مفردة بالعربية لكلمة Sandwich ليفرغ هذا المعني بالعربية، لأن معنى القطعة حلو كثيراً ولا يريد «شاطراً ومشطوراً»، فقلت له: لن يتكلّفوا ويخترعوا كلمة موجودة منذ آلاف السنين عند قدامى العرب: **الأُدَام** بين طبقتي الرغيف كان يطلق عليه «**ترويل**» و «**ترويلة**» من رَوَلَ/ أسرع؛ وهي تصدق عليها تماماً، واحد مسرع في الأكل.

المراة السندويش: ترويلة

● «الترويل» أي الأكل على السريع؟

□ نعم. طار عقله فيها، ونظم بيتين من قطعة «پوب» الشعرية قال فيها:

«رأيتُ خَوْضاً في سنَا غابةٍ — تميلُ دِلاًّ بين ذِئْبَيْن
فخلتُها في الحبّ ترويلةً — تُؤكَل في لمحة عَيْنَيْن»

هذا المعنى الذي قصده پوب، والذي أحبّ أن ينقله إلى العربية في معنى التي يعشقها اثنان كأنها «سَنْدويش».

● فإذن، هذا معنى سندويش بالعربية «ترويلة»؟

□ أجل. ممكن.

2 . في الشعر والمرأة

يعتبر الشيخ عبد الله العلايلي أن المرأة صارت «حِلْس» البيت أي ملاصقة للبيت، وحلُّ ذلك برأيه يكمن في الفقه. وفي هذا الإطار سألناه عن وجود نساء فقيهات، فقال:

□ طبعاً، يوجد الكثيرات منهنّ؛ مثلاً: الدكتورة **عائشة راتب** وهي حقوقية كبيرة؛ كما كانت أستاذتي في جامعة فؤاد الأول (كما كانت تسمّى آنذاك في القاهرة) نابغة من النابغات في الفقه.

(5) صدر للمرة الأولى سنة 1938.

● وفي لبنان؟

□ لا أعلم لأنه لا اختلاط كثير لي بهنّ. هناك شيء لا ينتبه له الناس يتعلق بالمرأة؛ وقد قلته في حديث لي لمجلة أعتقد أن اسمها **نساء** أجرته معي صديقة عزيزة هي **ليلى الحرّ**؛ ومن جملة ما قلته إن الباحثين في (الجِنْ) gènes ومعناها **الخفيّ** (ومنها اشتقّوا كلمة Le génie أي النابغة بمعنى أن عقله يأتي من الخفاء ـ وهي تحمل المعنى نفسه في اليونانية)، نجد أن المرأة يغلب عليها في مركّباتها الكلية (x)، بينما ينفرد الجن الرجلي بـ (y) و (x) في آن. عند التقاء أو اتحاد الرجل بالمرأة، إذا كان الجن (x) كانت المولودة أنثى، وإذا كان (y) كان المولود ذكراً؛ وهنا التنوُّع. الرجل بحكم الطبيعة يعطي التنوّعية.

● والمرأة تعطي الجِلْسِيَّة؟

□ يعني. نعم. وهذه هي الخصيصة التي يتمتّع بها الرجل عن المرأة؛ أما عدا ذلك فهي تعي الأمور كما يعيها هو. ولذلك اجتهاد المرأة يجب أن يكون فقهيّاً.

وما هو معنى الفقه؟ يعني الفهم. ولذلك أرى الحلّ بالنسبة إلى المرأة في الفقه؛ لأن الرجل لا يستطيع أن يضع نفسه مكان المرأة لمعرفة أمورها.

● ألا تلعب الأنظمة السياسية والقوانين دوراً في وضع المرأة الحالي؟

□ بلى، طبعاً. ولكن عليها أن تجتهد هي أولاً لمعرفة أمورها؛ وعبر اجتهادها تستطيع أن تصل بنفسها إلى وضع القوانين، ويكون لها دور في السياسة.

● المرأة عندك... لقد كتبت الكثير عنها كما يبدو من استشهادات لك في مؤلفاتك ببعض أشعارك؟

□ لي شعر كثير، ولا سيما في الثلاثينات حين كنتُ في حوالي الخامسة والعشرين من عمري؛ حينها كانت لي زميلة **يونانية**، وكانت تلميذة معي في كلية الحقوق لأنني بعد الدراسة الأزهرية عملت الحقوق المدنيّة؛ فكتبتُ الكثير من الأبيات الجميلة جداً منها قصيدة «**الميلاد**».

● شيخنا انت لم تنشر ديوان شعر قائم بذاته، أليس كذلك؟

□ كلا، كنت أتأبّى.

● ولكن هناك قصائد في كتاب **فايز الترحيني**[(6)]؟

□ لقد أبى إلا ان يأخذ بعض شعري ونشره في أطروحته. وهذه القصيدة نظمتها في الميلاد بتاريخ 1938/12/24؛ وأقول فيها:

---

(6) **الشيخ عبد الله العلايلي، مفكراً ولغوياً وفقيهاً، دراسات وشهادات، توزيع دار ابن خلدون، بيروت، 1984.**

«من ليالي العيد كان الكونُ يشدو بِهَوانا
والمسرَّاتُ التي ماجَتْ بها بعضُ رُؤَانا
والدَّرَارُ الزُّهْرُ في الأفق غُشاشٌ في مُنانا
في فؤادي منكِ قيثارٌ عليه وَتَرانا
نغمٌ أيقظَ أشواقَنا وهزَّ الأقحوانا
وَسَلِ العيدَ فقلبُ العيد ما غَنَّى سوانا
دربُه نحنُ فَرَشْنَاه حنيناً وحنانا
هل ذكرتِ الغابَ؟ والغابُ حَفِيٌّ بِلِقانا
يَحْجُبُ اللَّفْتَةَ عنَّا لا ترى عينٌ سوانا
حيث أمعنَّا ودربُ الخُلد في مرمى خُطانا
أو ذكرتِ البحرَ؟ والبحرُ حَفيٌّ بصدانا
حين أهوى، الموجُ خَفَّافاً تدانى ليرانا
(أنظري الحركة: تدانى ليرانا)
قالتِ الموجةُ للموجةِ نُغْماً وفُلانا
يزرعانِ الشطَّ حُبّاً والثَّرى حالَ جَنانا
من بعيد، من رُبى في الزَّوج كانَ يومَ كانَ
نغمتي لحن إلهٍ، واستمرّا عنفوانا»

هذه في عيد الميلاد.

● هل لا تزال صاحبتها موجودة، أم أنها لم تعد هناك؟

□ الآن لا أعرف. هذا كان من زمان.

● لا يوجد تواصل؟

□ لا. وبعد خمسة أيام كان رأس السنة، وعملتُ لها قطعة جميلة. (ويضحك). تصوّري العام الذي ولّى والعام الآتي، ويتلاقى الجميع ويطلّون علينا رأساً لرأس، ويروننا قبل أن يفترقوا، ماذا نعمل

«من لقاء العام بالعام نَمانا قَدَرُ
شَهِدَانا يُترِعُ الكأسَ ويَغْنَى الوترُ
هَدْهَدا نشوةَ حُلْمَيْ وأهمى خَدَرَ
جِدَّةٌ نحنُ على الدَّهر ونحن الذِّكَرُ
فالنهاياتُ بداياتٌ لنا والعُطُرُ

رعشةٌ من أزلِ الصُّبح جَلَتْها الصُّورُ
نحنُ كنّا الخِلْجَةَ الأولى صَحَتْ تَسْتَعِرُ
أيُّ دفءٍ لم يكن من دِفْئِنا يَبْتَدِرُ
يا حبيبي هتفَ الشوقُ بنا والعمُرُ
وتناجى النَّجْمُ والنَّجْمُ وأصغى السَّحَرُ
والنداءات على هِنَاتِها تَنْهَمِرُ
كونُنا أُفعِمَ بالحبِّ فلِمَ ننتظرُ؟»

... (ويضحك مطوّلاً)

وهناك قطعة أخرى، فهي كانت تملك عينين حلوين كثيراً، فيهما كحلٌ «ليس التكحُّل في العينين كالكَحَل»، كأنّهما مكحولتان طبيعياً.

● هل تذكر لون عينيها؟

□ ليس كثيراً. (وبعد تفكير) كانتا مخضرّتين. بعض أبيات القطعة يقول:

... «تقولين وجهي ابتسامُ الربيع — وفي مقلتيَّ جرى كَوْثَرُ
سألتُك بالحُسْن لا توهمي — فقلبُ الربيع غداً يقطرُ

أنتِ أخلد من الربيع...

وأنتِ انبثاقُ الحياة المديد — وفي كل آناته أنْضَرُ
تنفَّسَ في صفحتَيْكِ الخلود — وحطّ السنا طائفاً يَنْظُرُ
تراءيتِ، تراءيتُ في الوَمْضِ — نَجْمَ الرَّجاءِ لسارٍ يَتِيْهُ به المطرُ
وفي ظلِّ أهدابك الحالمات — طيوفٌ تَضِلُّ وَسَتَخْبِرُ

● هي نفسها في كلِّ أشعارك شيخ أم توجد أمرأةٌ أخرى؟

□ لا هي نفسها؛ وهذه قطعة بحثها جديد كثيراً أيضاً.

● يعني خارج البحور المعروفة؟

□ كلا ليس خارجها؛ قليلاً.

● معدَّل؟

□ نعم.

● هل لهذا البحر إسم خاص؟

□ نعم. المجزوء المضارع.

هناك أيضاً قصيدة لها، أقول فيها:

«يـا نُـغَـمُ بـل يـا سَـمَـرُ راحٌ ولــــهــــوٌ وَدَدُ

[الدَّدُ في العربية معناها «المجانة»]

وقـمـرٌ مُـتَّـكِـئٌ لـه عـلى الأفْـقِ يـدُ
وتـرٌ مُـضْـطَـجِـبٌ، وتـرٌ مـضـطـهِـدُ
وكـوبُ نـخْـبٍ رائـحٍ وكـوبُ نـخْـبٍ يَـلِـدُ
في سـهـرةٍ كَـوْكَـبَـهـا بـدرٌ هـنـاك غَـيْـدُ
يـقـصُّـهـا وسـوسـةٌ نـجـمٌ لـنـجـمٍ يـقـدُ
وزهـرةٌ لـزهـرةٍ وبـلـبـلٌ يـغـرِّدُ
فـلـذَّةٌ تـنـعـقـد وفـتـنـةٌ تَـنْـجَـلِـدُ

إلى أن أقول:

«يـا قَـيْـنَـةٌ مـسـحـورةً ابـقـى عـليهـا غَـسَـدُ
اسـطـورةٌ سَـلْـسَـلـهـا امـسٌ هـنـاك وغـدُ
مـن ازلٍ لابـدٍ ديـمـومـةٌ وسَـرْمَـدُ...»

طويلة جداً هذه القصيدة؛ وقد ترجمها إلى الفرنسية دِرْمِنغهام (Durmingham).

العلايلي والمستشرق التشيكي

● كان لديك صديق مستشرق تشيكي، ما اسمه؟

□ ذاك صاحبنا **الدكتور كراوس**، وهو لم يترجم لي الشعر بل ترجم شيئاً آخر؛ ولكن درمنغهام شاعر ومؤلف كبير (ألَّف كتاباً عن حياة النبي محمد (ص) وكتابه **أجمل النصوص العربية Les plus beaux textes arabes** عبارة عن مجموعة شعرية نصفُها لي، ولكن ما حصل أن الكتاب أصبح دعاية له من خلال قصيدة **«رحلة إلى الخُلْد»**. ويومها طلب مني أن أعرِّف ببعض الشعراء فاخترت له بعض شعر **عمر أبي ريشة** وبعثت به مع رسالتي، إضافة إلى بعض شعر **ألبير أديب**[7] من الشعر المنثور. إنه كتاب جيِّد جداً وقد طبعوه هنا وليس في فرنسا.

● هل كانت لك معرفة بـ **درمنغهام**؟

□ كلا. كان يقرأني ثم ترجم لي قصيدة **رحلة إلى الخلد**، وكتب لي أول كتاب **(رسالة)** بالعربية، وبعدها كتب لي مكتوباً ثانياً وهذا نصُّه[*].

---

(7) صاحب مجلة الأديب، التي اسهم فيها العلايلي وكمال جنبلاط وميخائيل نعيمة وسواهم، منذ صدورها في الاربعينات.

(*) سيرد النص معرّباً عن الفرنسية في آخر المقابلة، وهو يعود إلى 19 ـ 4 ـ 1948.

رحلة إلى الخلد

أما الآن فسنضع بين يدي القارىء العربي القطعة الأولى من قصيدة «رحلة إلى الخلد» كما أراد المرحوم الشيخ عبد الله العلايلي بلسانه:

ـ القطعة الأولى: «الحيّ في رُبَى الخُلْد»؛ أنا قاعد على ربوة من ربوات الخلد، بِمَ أحسّ؟

«أنا يومٌ بين امسٍ وغدٍ   خُجْعَةُ الآمال في بَرْدِ الرجاءْ
وأمانُ القلبِ بَرْقٌ خُلَّبٌ   حارَ إذ شعَّ كجُحرٍ في بكاءْ

... إلى أن أقول، فلم أعد أذكر الأبيات كثيراً:

«أظننتَ الخلدَ باباً واسعاً   بسمةُ الآمال إذْ يعلو النداءْ
لو عَفَتْهُ بِدْعَةُ الصُّنعِ   ولو لم تَخَلْ دُرَّ حصاهُ كذُكَاءْ(*)

هذه اللحظة:

«شُرْخٌ فتنةُ العابدِ في محرابي   ورُؤَى الشّاعرِ في ربِّ السماءْ
نشرةُ القيثارِ في أوتاري   ورجيعُ الشوقِ من إلْثِ النَّشَاءْ
سجعاتُ الطّيرِ في تغريدها   وخريرُ الماءِ في أُذْنِ الضّياءْ»

فيما بعد قطعة الحيّ في الحياة، ماذا يشعر الكائن وهو في الحياة نفسها:

«ظُلْمةٌ غشّى وغشّت ظلمةٌ   بين مَوْجَيْها شقاءُ الأبرياءْ
طغتِ الموجةُ تحدو اختَها   في ظلامِ الدَّجنِ والضُّخُ(**) كِثاءْ
يطلعُ الشيطان من أقطارها   نافثاً في طيِّها قُبْلَ البلاءْ
وترى الجِنَّةَ فيها مَنْ رحل   مسرحُ الجِنَّةِ أصداءُ الكِواءْ
مُرَّدٌ جازوا على أسوارها   شِدْقُ كلٌّ كخليجٍ من دماءْ
يَزْفِرُ الماردُ منهم زَفْرَةً   كهَزيمِ الرّعدِ في الأرض العراءْ
شررُ النارِ على أفواههم   قمّةُ البركانِ عند الصُّعَدَاءْ
جَمَعَتْ خُبثاً ولُؤماً ورياء   وخُسارة كلُّ ما فيها جُفَاءْ

هذه القصيدة من 1500 بيت شعري.

(*) ذُكَاء: الشمس.
(**) الضُّخُ: الدخان.

الجمال والحلاوة

● عمر أبو ريشة ليس بمستوى ابن أبي ربيعة؟

□ لا. لم يصل.

● هناك كتاب جديد عن ابن أبي ربيعة قرأت عنه، فيه يميِّز بين الجمال والحلاوة، ولم أفهم المقصود بذلك؟

□ الجمال يأسر، الحلاوة نوع من الهيمنة.

● هل الحلاوة أقل من الجمال أم هي أكثر؟

□ الجمال يصعق، بينما الحلاوة نوع من الاستيلاء. كان عمر دقيقاً.

نص رسالة إميل درمنغهام(*) إلى عبد اللّه العلايلي

ونحن نختم النص، لا يسعنا إلا الترحُّم على فقيد البلاد والعروبة والإسلام الشيخ الجليل عبد اللّه العلايلي، الحيّ أبداً بما ترك لنا من كنوز ربما لم تُكتشف بعدُ كلها سواء في الفقه أو اللغة والنحو، أو في الشعر وأشياء أخرى لمَّا نعلمها حتى اللحظة.

التسجيل:

«سيِّدي،

أشكر لكم رسالتكم الممتازة؛ لقد استمالتني كثيراً نوعيّة قصائدكم المهمّة جداً والحديثة كثيراً، كما أعجبتني قصائد السيد ألبير أديب. هذه هي ترجمة القصائد التي ساعدني فيها صديق عربي؛ إنها غير متكاملة، ولكننا حاولنا جهدنا إزالة كل الفوارق غير أن الأمر ليس دائماً سهلاً؛ ولكنني واثق أن ذلك سيعجب كثيراً الجمهور الفرنسي. هناك مقطع لم أستطع قراءته، فهلاً تفضّلتم بترجمته وتصحيح الأخطاء التي يمكن أن نكون قد اقترفناها في مواضع أخرى. وهل يمكنكم أيضاً إرسال بضعة أسطر حول نفسكم وحول ألبير أديب.

مع شكري، أرجو أن تتأكدوا من
صدق مشاعري الخالصة».

إميل درمنغهام

Emile Durmingham

(*) نورد نصّ الرسالة الموجّهة من درمنغهام إلى العلايلي معرّباً؛ وكنا نأمل لو أمكننا نشر نسخة منها بلغتها الأصلية المكتوبة بها، غير أن الشيخ رفض في ذلك الحين تصويرها وسمح لنا فقط بقراءتها.